مقالات غير شعبية

وظائف المعلم

ترجمة : موسى زمولي

تقديم

التربية عبر العصور: كان الإنسان يحيا حياة بسيطة وكانت متطلبات العيش في تلك المجتمعات لا يكتنفها التعقيد لذا اتسمت متطلبات التربية البدائية بالتقليد والمحاكاة وكان جوهرها التدريب الآلي والتدريجي، أي أن لكل مرحلة من العمر نوعا خاصا من أنواع التربية ولم يكن هناك حاجة لمؤسسة معينة تقوم بنقل التراث و تدريب النشء لأنه لم يكن هناك تراث ثقافي كبير.

وكان يقوم بالعملية التربوية أو التدريبة وعملية تكيف الأفراد مع البيئة الوالدان أو العائلة أو أحد الأقارب؛ أما أنواع التربية التي كانت سائدة في ذلك العصر فهي التربية العملية التي تقوم على تنمية قدرة الإنسان الجسمية اللازمة لسد حاجاته الأساسية مثل الطعام والملبس والمأوى وبالإضافة إلى التربية النظرية التي تقوم على إقامة الحفلات والطقوس الملائمة لعقيدة الجماعة المحلية التي كان يقوم بها الكاهن أو ساحر القبيلة أو شيخها.

من ساحر القبيلة إلى الآلة الساحرة: الحاسوب وشيخه غوغل ... مرورا بما جادت به قريحة العالم الكبير برتران رسل (Bertrand Russel) من أخبار المُعَلم، هذا الذي قال أحمد شوقي في حقه:

قم للمعلم وفِّه التبجيل كاد المعلم أن يكون رسولا

لكن في مواقف أخرى عُذِّب فيها المعلم بل أُحرق بسبب أفكاره التي تعارضت مع أصحاب السلطة؛ وبين التقديس والتعذيب تبقى وظيفة المعلم من أهم الواجبات المميزة للمجتمعات في كل الأزمان.

المترجم.

• • •

تغيرت، في القرن الأخير، مهنة التّعليم خاصة من وظيفة صغيرة رفيعة المستوى تَهُم أقلية من الناس، إلى فرع كبير ومهم تابع للخدمات العامة. تتمتع المهنة بشرف وسمعة تقليديتين، ظلت تتطور من فجر التاريخ إلى أيامنا هذه.

لكن أي معلم في العالم العصري الذي يسمح لنفسه بالتأثُر بأفكار من سبقوه سريعا ما يكتشف بأن وظيفته تقتضي الآن أن لا يُدرِّس ما يعتقده هو ولكن عليه أن يغرس الإجحاف والأفكار التي يراها موظِّفوه مفيدة.

كان يُنْظر للمعلم في القديم على أنه رجل فوق العادة وصاحب معرفة وحكمة. ويسعى الجميع لحضور جلساته. لم تكن في العصور القديمة وظيفة المعلم محددة المعالم. ولم تكن هناك أي رقابة على ما يُدرِّسه المعلم. حتى ولو أن بعضهم قد عوقب فيما بعد بسبب معتقداته المدمرة. أُعدم سقراط ويقال أن أفلاطون قد زج به في السجن. ولكن لم تمنع هذه الأحداث أفكارهم وعقائدهم من الانتشار. وكل إنسان كانت له عبقرية المعلم تظل أفكاره خالدة من خلال كتبه ولا ترحل مع رحيل جسمه. تبقى حرية الفكر لدى المعلم في أداء وظائفه شرطا أساسيا لأن هذه هي المهمة والمعرفة والحكمة التي يستطيع تمريرها إلى الرأي العام.

أدى المعلم وظيفته في العصور القديمة بكل حرية فيما عدا بعض حالات تشنج عندما تدخل في هذا الشأن طغاة مستبدون . وفي العصور الوسطى وقعت، دون استثناء وظيفة التعليم تحت وصاية الكنيسة وكانت النتيجة ضئيلة من الناحيتين الثقافية والاجتماعية. ومع النهضة أدى التبجيل الكبير للتعلم إلى استرجاع المعلم للعديد من حرياته. حتى ولو أن رجال الاستخبارات أجبروا غاليليو (Galileo) على الارتداد عن معتقداته وأحرقوا جيوردانو برينو(Giordano Bruno)، لكن كلا الرجلين كانا قد أديا واجباتهما كاملة قبل أن يعاقبا. وظلت دور التعليم والجامعات تحت سيطرة المشعوذين وكانت نتيجة ذلك أن تمت أهم الأعمال الثقافية على يد أفراد مستقلين. في انجلترا، خاصة، حتى نهاية القرن التاسع عشر، لم تكن للبارزين من الرجال، ما عدا نيوتن، أي علاقة بالجامعات. لكن نظام المجتمع جعل تأثير ذلك ثانويا على نشاطاتهم وفعالياتهم .

وفي عالمنا الحالي الذي هو أكثر تنظيما تواجهنا معضلة جديدة. شيء اسمه التربية أُوكِلت لمن هب ودب، تحت رعاية الدولة وأحيانا تحت وصاية الكنائس. وأصبح المعلم، في معظم الأحيان، موظفا مدنيا يطبق أوامر أفراد أقل منه ثقافة، وليس لهم دراية بالتعامل مع الشباب، وهمُّهم الوحيد من التربية هو الدعاية والديماغوجية. ويصعب تصور ظروف عمل المعلمين وكيف يمكنهم أداء وظائفهم المؤهلين للقيام بها.

من المعلوم أن التعليم الحكومي ضروري، لكن من الواضح أيضا أن به مخاطر يجب تجنبها. والمساوئ المطلوب تفاديها هي ما شهدناها في حجمها الكبير لدى ألمانيا النازية وما زلنا نشاهدها في روسيا. حيث تطغى هذه المساوئ على كل شيء ولا يمكن لأحد ممارسة التعليم إلا إذا

تعهد بالانضمام إلى عقيدة دعائية لا يقبلها بإخلاص إلا القليل من المثقفين الأحرار. ولا يكفي انضمامه إلى إحدى الطُرُقِ بل يجب عليه غض الطرف عن المساوئ والتخلي بكل حذر عن التفكير أو النقاش في الأحداث الحالية(السياسة، المترجم) طالما هو يُدَرِّس اللغة وجدول الضرب التي عليها إجماع و لا يشمل برنامج تدريسه الدعاية الرسمية. لكن حتى عند تدريسه هذه المواد مطلوب منه في الأنظمة الدكتاتورية، عدم استخدام أحسن الطرق التي يراها أنجع للتدريس بل عليه أن يكتفي بغرس الرعب والتظليل في نفوس تلاميذه وفرض الطاعة العمياء له. وعند تخطيه حدود هذه المواد عليه أن يتبنى وجهة النظر الرسمية في مناقشاته. وبهذه الطريقة يصبح الشباب في ألمانيا النازية وفي روسيا متطرفين. جاهلين بما يجري في العالم من حولهم غير متعودين على النقاش الحر وعلى أن آراءهم قد تكون غير صحيحة. ورغم سوء هذه الأعمال كان بالإمكان أن تكون المهمة أقل خطورة لو كانت الأفكار المغروسة في الأذهان مثل الأفكار الكاثوليكية التي كانت رائجة عالميا في العصور الوسطى

لكن فكرة الثقافة العالمية يرفضها أصحاب الأيديولوجية العصرية الذين يتبنون عقيدة في ألمانيا وأخرى في إيطاليا وغيرها في روسيا وفي اليابان. في كل بلد من هذه البلدان تم التركيز عن التطرف الوطني في البرامج التعليمية وكانت النتيجة أن لا علاقة لمواطن من دولة بمواطن دولة أخرى. ولا وجود لفكرة مبدأ حضارة مشتركة تقف في طريق وحشية الحرب. بدأ اضمحلال الثقافة العالمية وزادت وتيرة الهرولة نحو الانحطاط منذ الحرب العالمية الأولى. قابلت سنة 1920 بلينينغراد أستاذ الرياضيات البحتة الذي كان قد زار لندن وباريس وعواصم أخرى حيث شارك في عدة مؤتمرات دولية. لكن، اليوم، يختلف الوضع بالنسبة للمثقفين الروس حيث لا يسمح لهم إلا نادرا بمثل هذه الجولات خوفا من أن يصبح لديهم انطباع سيئ عن بلدهم. الأمر أهون بالنسبة للتركيز على الأفكار الوطنية في المدارس ولكن أصبح في كل البلدان أقوى مما كان عليه من قبل. هناك اتجاه في انجلترا (وأظن أن الأمر كذلك في الولايات المتحدة) لإعفاء الفرنسيين والألمان من تدريس اللغتين الفرنسية والألمانية . إن تفضيل جنسية شخص على كفاءته في التوظيف يضر بالتربية وأمرا مشينا بالنسبة لمبدأ الثقافة العالمية الموروث عن الإمبراطورية الرومانية وعن الكنيسة الكاثوليكية وأصبح هذا المبدأ اليوم مغمورا بسبب غزو بربري يدفع إلى الأسفل وليس إلى الأعلى.

في البلدان الديمقراطية لم يصل الضرر إلى هذا الحد ولكن علينا الاعتراف بأن تفشي الخطر في التعليم قائم ولا يتم تفاديه إلا إذا كان من يؤمنون بحرية الفكر يقظين لحماية المعلمين من الاستعباد الثقافي. ولعل أول مطلب هو التحديد بكل وضوح لواجبات المعلم تجاه المجتمع. أنا مع كل دول العالم بأن من آخر واجبات المعلم الترويج لمعلومات غير مؤكدة. وهذا، بالطبع هو

الأساس الذي تبنى عليه البقية. بالنسبة للحضارات التكنولوجية مثل حضارتنا الحالية فهذا أمر فيه دون شك فائدته. يجب تكوين جمهور عصري من عدد كاف من الرجال ذوو كفاءة فنية للمحافظة على الهيكل الميكانيكي الذي يضمن لنا قسطا من الرفاهية المادية. كما أنه من غير اللائق أن يوجد بيننا نسبة من السكان الأميين. لهذه الأسباب فالكل مع جعل التربية والتعليم في كل العالم من الضروريات. لكن الحكومات ترى أنه من السهل والأنسب لها، بأن تقوم أثناء توفير التعليم بغرس أفكارها المثيرة للجدل وتخلق عادات وعقليات قد تتماشى أولا مع تلك السلطات. وإن حماية الدولة في كل الدول المتحضرة تقع تقريبا على عاتق المعلمين كما هي بين أيدي القوات المسلحة. أما في الدول المستبدة فإن حماية الدولة مرغوبة ولا يمكن أن تكون التربية موضع جدل لأن الانتقاد يأتي عندما تريد الدولة أن تحمي نفسها بالجهل الأعمى وتختار تلبية رغباتها غير المنطقية. هذه الوسائل غير ضرورية لدى أي دولة تستحق الدفاع عنها ومؤازرتها. لكن هناك رغبة طبيعية في إتباع هذه الوسائل لدى من ليس لهم المبادئ الأولية في التربية.

هناك اعتقاد متفشي بأن قوة الأمة تكمن في توحيد أفكارها والتخلي عن الحرية. وقد سمعنا مرارا مقولة أن الديمقراطية تضعف البلد أثناء الحروب. مع العلم بأن النصر في الحروب منذ سنة 1700 كان حليف الديمقراطيين. لقد دمرت أمم بسبب تعنت العقليات الضيقة المطالبة بتوحيد الأفكار لا بالحوار الحر وأفكار التسامح لدى القادة.

يعتقد العنيدون في العالم حتى عندما يكونون على دراية بالحقيقة بأن الآخرين سيسلكون مسلكا مؤديا إلى الاعتقاد الخاطئ طالما سمحنا لهم بالاستماع إلى الرأي والرأي الآخر.

هذه وجهة نظر تؤدي إلى إحدى المحنتين: إما أن ينحاز الفرد إلى العنيدين ليحتلوا العالم ويمنعوا نشر كل فكر جديدة، وإما ، وهو الأدهى، أن يستولى متنافسون على مناطق مختلفة وتحل العداوة بينهم. لقد وُجدت المحنة الأولى في العصور الوسطى والثانية أثناء الحروب الدينية ومرة أخرى في أيامنا هذه.

جمَّدت الأولى الحضارة وحاولت الثانية تدميرها التام.

يبقى المعلم أمام هاتين المحنتين مسئولا على تأدية دور الحامي المنقذ الرئيس.

من الواضح أن سياسة حزب ما مهيكل يعد في زمننا من أكبر المخاطر. عندما يتعلق الأمر بالوطنية فهو يؤدي إلى الحرب بين الأمم وبصورة أضيق إلى حرب أهلية. إنها قضية المعلمين ليقفوا خارج نزاع الأحزاب والسعي إلى غرس في عقول الشباب روح التساؤل والحوار المجرد الذي يسمح لهم بالحكم على أمور في متناولهم وأن يكونوا حذرين ضد قبول قرارات أحادية الجانب (فَرَمانات، المترجم) وما يترتب عنها. على المعلم أن لا يمدح الجمهور ولا الرسميين. تكمن فضيلة وشرف مهنته في استعداده لأن يكون عادلا في كل الحالات. وفي مسعاه إلى أن يرتفع في الجدال إلى مجال البحث العلمي الهادئ. وإن وُجِدَ أُناس ضد نتائج تحرياته يجب على أسحاب الشأن توفير الحماية له ضد إساءة الآخرين له إلا إذا ثبت تورطه في دعاية غير شريفة ونشر أفكار غير سليمة.

لا يعني ذلك أن وظيفة المعلم هي التخفيف من حدة الجدال القائم. لأن أمامه العديد من الأعمال الإيجابية عليه القيام بها ولا يمكن أن يكون معلما قديرا إلا إذا كانت عنده الرغبة في أداء هذه الأعمال. تقع مسئولية الحفاظ على الحضارة بالدرجة الأولى على طبقة المعلمين. عليهم أن يكونوا متفهمين تماما لمعنى الحضارة وراغبين في نقل تصرفاتهم وأفكارهم الحضارية لتلاميذهم. هنا نحن في حاجة إلى وقفة أمام معنى الجمهور المتحضر ؟ الجواب العادي لهذا السؤال يكون بإجراء تجارب مادية. يكون بلد متحضرا إذا كان يمتلك العديد من الآلات، ومحركات السيارات، وغرف الاستحمام ووسائل التنقل. هذه الأشياء، في نظري، هي التي يعطيها الرجل العصري أهمية كبرى.

وبمعنى أهم فإن الحضارة مرتبطة بالعقل وليس بالجانب المادي للحياة. جزء منها معرفي وجزؤها الآخر عاطفي. بخصوص المعرفة على الفرد أن يكون شاعرا وبدقة بوضعه وبجواره المرتبط بالعالم في الزمان والمكان. عليه أن لا يرى فقط بلده وهو داخل وطنه بل هو جزء من بين بلدان العالم التي لها نفس الحقوق في العيش والتفكير والشعور. عليه أن يرى سنه بالمقارنة بالماضي والمستقبل وأن طروحاته ستبدوا غريبة في العصور القادمة كما تبدوا طروحات الماضي بالنسبة لنا الآن. وبصورة أعم عليه أن يكون على وعي بتشعب العصور الجيولوجية وعلوم الفلك. يجب أن يكون شاعرا بكل هذه ليس كعبء يثقل عقل وكاهل الإنسان ولكن كرؤية شاملة تزيد عقل الناظر لها تفتحا.

في الجانب العاطفي من الضروري العمل على تفتح مماثل على مستوى الفرد إذا أراد الإنسان أن يكون فعلا متحضرا. يمر الناس من المهد إلى اللحد وهم أحيانا سعداء، وأخرى

أشقياء، أحيانا كرماء وأخرى جشعين، أحيانا أبطالا وأخرى جبناء ذليلين. وعلى من ينظر للسيرورة ككل، سيلحظ أشياء تستحق الإعجاب. بعض الناس اهتدوا إلى حب الغير وآخرون تميزوا بذكاء فائق وساعدونا على فهم العالم الذي نعيش فيه. منهم من ساهم بإحساسه الفني الفياض بتجسيده للجمال. جاء هؤلاء بأشياء إيجابية وجميلة للتخفيف من ثقل الوحشية والاضطهاد والشعوذة. قدم هؤلاء كل ما في وسعهم لجعل الحياة أمرا أفضل من سلسلة من الاضطرابات والعبودية. عندما لا يستطيع الإنسان المتحضر أن يرى الأمور بإعجاب فعليه أن يسعى لفهمها بدلا من شجبها. فاليحاول اكتشاف والتخلص من الأسباب الشريرة بدلا من كره الشخص الذي هو في قبضة تلك المساوي.

يجب أن تكون كل هذه الأمور كامنة ومستقرة في قلب وعقل المعلم ليمررها ويعلمها للشباب الذين هم تحت رعايته.

لا يصبح المرء معلما جيدا إلا إذا كان عنده شعور عاطفي قوي نحو تلاميذه ورغبة صادقة في تبليغهم كل ما يراه ذو قيمة. وليس هكذا يتصرف الغوغائيون. يرى الغوغائيون في هؤلاء التلاميذ إمكانية إلحاقهم بالجيش. سوف يخدمون أهدافا خارج نطاق حياتهم، ليس في اتجاه هدف واضح بل للدفاع عن امتيازات غير شرعية أو حكم طاغي. إن الغوغائي لا يرغب في السماح لهؤلاء التلاميذ بمعرفة ما يجري في العالم ليحددوا بأنفسهم الهدف الذي يرونه ذا قيمة. يريد الغوغائي، مثل الفنان المثالي، أن يكون نموهم في قالب يرضي صاحب الحديقة. وفي اعتراضه لنموهم الطبيعي يستطيع أن يحطم فيهم كل الفضائل الحميدة، لتعويضها بالحسد والتخريب والقسوة. لا حاجة للناس إلى القسوة؛ وعلى العكس من ذلك فأنا على يقين بأن معظم القسوة تأتي نتيجة الإعاقة في سن الشباب، والحرمان من كل ما هو حسن في الصغر.

إن الردع والرغبة في التعذيب أصبح شائعا كما تؤكده أفعال الدول الحالية. لكن الأمر غير حتمي وعلى العكس من ذلك، على ما أظن، كل هذا ناجم عن شقاء.

يجب أن تكون من بين مهام المعلم فتح الآفاق أمام تلاميذه مُبيناً لهم إمكانية النشاطات السارة والمفيدة وبذلك تتحرك حوافزهم الودية نحو الحرية تشجعهم على ازدياد رغبتهم في الانتفاع بمتع أخرى كانت قد تفوتهم.

هناك الكثير من الناس من ينتقد فكرة السعادة كنهاية المطاف بالنسبة لهم ولغيرهم، لكن البعض يظن أن النهاية هي عنب حامض. من المهم أن نفضل ترك السعادة للصالح العام ولكن يمكن التعامل مع السعادة كمفهوم عام على أنه شيء دون حدود. علاوة على ذلك فقد جرت العادة أن يتم ذلك باسم نوع من البطولة.

بالنسبة لهؤلاء يوجد لديهم بصفة عامة رابط قسوة أساسه ربما الحسد اللاشعوري ومصدر هذا الحسد يعود إلى عهد الطفولة والشباب. إنه من واجبات المربي تعليم البالغين على التحرر من هذه البلية النفسية.

وما هو معهود الآن فإن العديد من المعلمين هم غير قادرين على انجاز ما هو في استطاعتهم. ولذلك عدة أسباب، بعضها عارضة وأخرى عميقة ومستفحلة. لنبدأ بالقديم. نجد معظم هؤلاء مرهقين ومجبورين على إعداد تلاميذهم للامتحانات بدلا من تكوينهم للتفكير بحرية. وليس لدى العامة وعلى سبيل الخصوص جميع المسئولين عن قطاع التربية أي فكرة عن كلفة المجهود الفكري والروحي المبذول في هذا الأمر. لا يطلب من رجال الدين أن يقضوا ساعات عديدة كل يوم في التبشير ولكن مطلوبا من المعلمين القيام بعمل مماثل. لهذا السبب ينشأ لدى العديد من المعلمين شعور بالمضايقة والعصبية، بعيدين عن كل جديد في مادة التدريس، ليصبحوا غير قادرين على إلهام طلبتهم بالمعنى الثقافي المبهج الذي يمكن الحصول عليه وكسبه من المفاهيم والمعارف الجديدة.

وليس هذا هو الأخطر. ففي معظم البلدان هناك بعض الأفكار مصنفة على أنها جيدة وأخرى بأنها خطيرة.

ومطلوب من المعلمين ذوي الأفكار غير الصحيحة أن يلتزموا الصمت بخصوص أفكارهم.

ويعتبر إعلانهم عن أفكارهم على أنها دعاية بينما يدخل الإشهار بالأفكار الصحيحة في باب التدريس وينجم عن هذا تساؤلات عديدة لدى الشباب خارج الفصل لمعرفة الرأي الصائب لدى أصحاب الفكر من المعاصرين.

تدرس في أمريكا مادة تسمى التربية المدنية، يقدم فيها المعلم أكبر المغالطات. تملى على التلاميذ(نظريا، المترجم) لتدوينها في كراريسهم، الطريقة التي يجب أن تُدار بها الشؤون العامة مع العمل على عزلهم على معرفة ما يجري في الواقع. وعندما يكبرون ويكتشفون الحقيقة تكون النتيجة

عادة السخرية بكل الأفكار العامة، بينما لو عَلِموا الحقيقة بعناية وقدمت لهم الشروح المناسبة في السن المبكرة لكانوا قد صنعوا منهم رجالا قادرين على محاربة الشر الذي يواجهونه بإذلال ولا مبالاة.

تعتبر الأفكار الكاذبة إحدى الخطايا المحدقة بأولئك المكلفين بسياسة التربية. وفي نظري لا يكون الشخص أستاذا جيدا إلا إذا أخذ عهدا على عاتقه بأن لا يحجب الحقيقة أثناء تدريسه ولو سمي ذلك "تحدي".

إن الفضيلة التي قد يأتي بها حماة الجهل هشة ومآلها الفشل في أول وهلة تلتقي فيها مع الحقيقة.

يوجد في هذا العالم العديد من الرجال هم جديرون بالإعجاب ومن اللائق تعليم الشباب الطريق الذي سلكه هؤلاء الرجال لاكتساب الطفل هذه الفضيلة. ولكن ليس من اللائق تعليمهم الإعجاب بالمخادعين مع إخفاء خداعهم. إن معرفة الأمور على حقيقتها فيما بعد قد تؤدي إلى السخرية كما يحصل ذلك إذا تم اكتشاف الحقيقة فجأة وتبعتها صدمة وسلسلة من المفاجأت والرعب.

ولكن عندما تأتي الأمور تدريجيا كما ينبغي ويتوافق ذلك مع معرفة ما هو جيد وفي إطار دراسة علمية ترمي إلى معرفة الحقيقة سوف لن يكون لها ذلك الوقع المؤثر. في كل الحالات إن الكذب على الأطفال الذين لا يستطيعون الحكم على ما قيل لهم يتعذر تبريره من الناحية الأخلاقية. وفوق هذا وذاك على المعلم أن يسعى إلى تكوين تلاميذ قادرين، في حالة استمرار الديمقراطية على تفسيرها بأنها هي نوع من التسامح لفهم رأي من هم مختلفون عنهم. من طبيعية البشر أن يرى باشمئزاز عند الآخرين تصرفات وعادات مختلفة عن تلك التي يستعملها. يقتل النمل والمتوحشون الغرباء عنهم. وبالنسبة لمن لم يسافر ماديا أو معنويا يجد صعوبة في تفهم ما هو شاذ أو غير مألوف لدى أمم أخرى وفي أوقات أخرى وطوائف وأحزاب سياسية أخرى.

هذا النوع من عدم التسامح هو ضد مبدأ النظرة الشاملة للحضارة وهو من أخطر ما يتعرض له عالمنا المكتظ بالسكان.

يهدف نظام التربية لإصلاح مثل هذه الأخطاء ولكن لم يتحقق اليوم إلا القليل في هذا الاتجاه.

في كل دولة يتم تشجيع الحس الوطني ويتم تعليم أطفال المدارس ما هم جاهز وقريب من معتقداتهم وبأن سكان الدول الأخرى هم أقل درجة أخلاقيا وثقافيا من البلد الذي يقيم به صدفة أطفال المدارس. يتم تشجيع الهستيريا الجماعية وكل الانفعالات البشرية بدلا من إفشالها. يتجه الأطفال إلى تصديق ما يسمعونه باستمرار ولا ينتبهون للقواعد المنطقية. وفي كل الحالات لا يجب أن نضع اللوم على المعلمين. فهم ليسوا أحرارا في تعليم ما يرغبون تعليمه. في حين أنهم الوحيدون الذين يعرفون ما يحتاجه الشاب. من خلال اتصالهم اليومي بالشباب هم أفضل من يحسن العناية بالأطفال. لكن ليس المعلم هو الذي يقرر ماذا يجب تدريسه ولا طريقة التعليم. يجب أن يعطى له المزيد من الحرية إضافة إلى مهنة التعليم. يجب أن تكون له حظوظا أكبر في حرية الاختيار بعيدا عن تدخل البيروقراطيين والمتعصبين. لا يوافق حاليا أحد أن يقوم من هو خارج السلك الطبي بمراقبة وتقييم الأطباء في كيفية معالجة مرضاهم إلا إذا انحرفوا بطريقة إجرامية عن المهنة الطبية التي تهدف إلى أشفاء المرضى. إن المعلم هو ذلك الطبيب الذي يشفي المريض من طيش الشباب ولكن ليس له الحق بالاستعانة بتجربته في أن يقرر ما هي الطريقة الأنسب للبلوغ إلى الهدف. نجحت بعض الجامعات التاريخية بفضل شهرتها ووزنها في تأمينها استقلالية ذاتية فرضية. لكن السواد الأعظم من المؤسسات التربوية هو معاقب ويخضع لرقابة أُناس لا يفقهون شيئا في عملهم. لتجنب الاستبداد في عالمنا ذو التنظيم الرفيع علينا بالعمل على توفير قسط من الاستقلالية للكيانات التي تؤدي الخدمات العامة النافعة ومن بين هذه الكيانات يأتي هيكل التعليم في المقام الأول.

إن المعلم مثله مثل الفنان والفيلسوف ورجل الآداب لا يمكن أن يؤدي عمله كما يجب إلا إذا شعر بشخصية ذاتية يقودها حافز داخلي خلاق، دون هيمنة ولا قيد سلطة خارجية. من الصعب إيجاد في هذا العالم المتحضر مكانا للفرد. يمكن أن يبقى في منصب رفيع كمدير في دولة استبدادية أو مع نخبة أثرياء في دولة تمتلك مؤسسات صناعية كبرى لكن في عالم الفكر بدأت الصعوبات في تزايد لمن يريد الاحتفاظ بقوى منظمة كبرى تسهر على سبل عيش الرجال والنساء. إذا أراد العالَم أن لا يخسر أحسن ما جادت به قرائح أبنائه، فعليه أن يهتدي إلى طريقة منح المعلمين فرصة ونصيبا من الحرية حتى مع وجوده في منظومات. لكن هذا فيه تحد معلن

على حريات أصحاب السلطة ويفترض وجود وعي لديهم لفهم بأن هناك رجالا في حاجة لمنحهم الفرصة والحرية.

كان على قداسة البابوات أن يكون لهم هذا الشعور نحو فناني النهضة، لكن الرجال الأقوياء في أيامنا هذه يبدون وكأنهم يلاقون صعوبات أكبر عندما يتعلق الأمر بتبجيل الرجال العباقرة الأفذاذ.

إن اضطرابات أزمنتنا معادية للزهور الثقافة الرفيعة؛ يشعر المرء وهو في الشارع بالرعب الشديد ولذا لا يرغب في السماح بحريات لا يراها ضرورية. علَّه ينتظر زمنا يكون أكثر هدوءا قبل أن تصبح المطالبة بالحضارة أولى من روح الأحزاب. وفي هذه الأثناء من المهم أن يبقى بعض على الأقل مقتنعين بمحدودية ما تقوم به المنظمات.

يجب على كل نظام توفير منفذ للنجدة و للحالات الخاصة، وإن لم يتحقق ذلك فسيتم في النهاية سحق أحسن ما ميز الإنسان على الكائنات الأخرى.

النص الأصلي: *UNPOPULAR ESSAYS:*

Chapter 8
The Functions of a Teacher

By Bertrand Russell